

محاضرات النقد الأدبيّ المعاصر

مطبوعة بيداغوجية
موجّهة إلى طلبة السنة الثانية ليسانس
الشّعبة:

دراسات نقدية

الأفواج: (6-7)

السّداسي الرّابع

إعداد الدكتورة:

أسماء حديد

أستاذ محاضر رتبة "أ" بقسم اللغة والأدب العربي
جامعة محمد الصديق بن يحي - تاسوست (جيجل)

السنة الجامعيّة:

2026-2025

المحور الثالث:

(النقد ما بعد الحدائي)

يتضمّن المحاضرات التالية:

-المحاضرة السابعة:

النقد التأويلي

-المحاضرة الثامنة:

النقد التفكيكي

المحاضرة الثانية عشرة

النقد التأويلي

(الهرمينوطيقا)

أولاً/ مدخل اصطلاحى مفهومي تاريخي:

1- المصطلح والمفهوم:

كلمة الهرمينوطيقا (l'herméneutique) تعني: "علم أو فنّ التأويل"¹، وفي ترجمة أخرى: نظرية التأويل و نظرية الفهم. من الصعب تعيين قصد ثابت لهذه الكلمة، وقد ذهب النقاد والمفكرون في استعمالاتهم للمصطلح مذاهب شتى، "مفهوم الهرمينوطيقا ينطوي على مجموعة من المفاهيم الممارسة على النصوص كالفهم والتفسير والشرح والتأويل والترجمة والتطبيق... وهذه الفعاليات الهرمينوطيقية نجدها أحيانا مختلفة ومتمايزة، وأحيانا متطابقة ومتماثلة، وأحيانا أخرى متداخلة ومتكاملة"²

2- الأصول التاريخية:

تأسيس علم التأويل متصل بالعصور الحديثة بوصفه نظرية قائمة بأركانها. إلا أن مصطلح هرمينوطيقا استخدم منذ عصور موعلة في القدم، "يعود استخدام هذا المصطلح للدلالة على هذا المعنى إلى عام 1654م"³ نميز في هذا السياق بين تأسيس العلم /النظرية، وبين وجود ممارسة تأويلية (لا تعي ذاتها) تعود أصولها إلى "المجهودات التي بذلها الأثينيون في العصر الكلاسيكي من أجل استخراج معنى الملاحم الهومييرية التي أصبحت لغتها تتمتع عن الفهم المباشر"⁴، وكانت "توظّف فقه اللغة"⁵ في تفسير النصوص القديمة. بعض الباحثين يرجع أصولها التاريخية إلى: تفسير النص المقدس.

3- النشأة والتطور (المسار التاريخي والاتجاهات الرئيسية):

*عرفت الهرمينوطيقا منعرجات جوهرية في تاريخها، انتقلت من البحث في إشكالية معنى النص إلى البحث في إشكالية فهم النص. ويعود الفضل إلى الفيلسوف الألماني (شلاير

¹ تيري ايغلتن، نظرية الأدب، تر: ثائر ديب، منشورات وزارة الثقافة الجمهورية العربية السورية، دمشق، 1995، ص118.

² عبد الكريم شرفي، من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، ص 18.

³ نصر حامد أبو زيد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي، لبنان-المغرب، ط3، 1994، ص13.

⁴ عبد الكريم شرفي، من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، دراسة تحليلية نقدية في النظريات الغربية، الدار العربية للعلوم-ناشرون/منشورات الاختلاف، لبنان/الجزنر، ط1، 1428هـ-2007م، ص 17.

⁵ عبد الكريم الشرفي، نفسه، ص 24.

ماخر) في إحداث أول نقلة نوعية في مسار الهرمينوطيقا التقليدية، "إنّ شلاير ماهر هو صاحب الفضل في تحرير الهرمينوطيقا من تبعيتها للعلوم الأخرى، ونقلها من المجالات الجزئية التي كانت تقتسمها كالدراسات الفيلولوجية للنصوص الكلاسيكية، واليونانية واللاتينية على وجه الخصوص، والتفسير اللاهوتي وخصوصا تفاسير العهدين القديم والجديد، ليجعل منها نظرية عامة في الفهم والتأويل قائمة بذاتها...بتأكيد على ضرورة تحوّل مركز اهتمام الهرمينوطيقا من تعقّب المعاني والمضامين الفكرية...إلى تناول العملية المركزية التي توحد مختلف التأويلات، أي إلى فعل التأويل ذاته أو عملية الفهم ذاتها، وحرصه على وضع القوانين والمعايير الضرورية للفهم "الصحيح"⁶. يُعدّ (شلاير ماهر) "أبا للهرمينوطيقا الحديثة"⁷.

*مع (دلثاي) -تلميذ (شلاير ماهر)-أخذت الهرمينوطيقا على عاتقها مهمة إعادة بناء التجربة الحية للنص، "تهدف إلى إعادة إنتاج التجربة الحية كما عاشها الآخر وعانى من وقع تأثيراتها"⁸. ومن هنا تتحدّد الغاية القصوى للهرمينوطيقا "الفهم الجيد للمؤلف أكثر ممّا فهم نفسه"⁹.

*اكتملت أركان النظرية مع الفيلسوف الألماني التاريخاني (هانز جورج غادامر) الذي مثّل منعرجا حاسما في مسار الهرمينوطيقا الحديثة. وهو ما تجسّد في كتابه المعنون (الحقيقة والمنهج) 1960م، حيث يؤكّد على "ضرورة تخلص عملية الفهم من الطابع النفسي الذي وسمتها به رومانطيقية دلثاي وشلايرماخر، وبالتالي ضرورة فصل النصّ عن ذهنية المؤلف وروح العصر الذي ينتمي إليه، ثمّ ضرورة تحويل الاهتمام إلى عملية الفهم في حدّ ذاتها...في بعدها التاريخي"¹⁰. أسس غادامر قاعدة الهرمينوطيقا المعاصرة

ثانيا/ النقد التأويلي (المقولات والإجراء):

1 - مقولات النقد التأويلي:

⁶ عبد الكريم الشرفي، ص31.

⁷ نصر حامد أبو زيد، إشكالية القراءة وآليات التأويل، ص23

⁸ عبد الكريم الشرفي، ص33

⁹ بول ريكور، النصّ والتأويل، ص42.

¹⁰ عبد الكريم الشرفي، ص36

*تاريخية الفهم / التوضع في الزمن: "كل تأويل مرتبط بوضعية ما، تشكّله وتحدّده المعايير النسبية تاريخيًا في ثقافة محدّدة"¹¹.

*وعي القارئ: الفهم عملية تنتجها الذات القارئة المؤولة والمعادلة هي: كل فهم هو تأويل وكل تأويل هو إساءة تأويل

*اندماج انصهار الآفاق: الفهم 'لا يحدّ بواحد من طرفي العملية التواصلية: الكاتب والقارئ، ليس الفهم عملية نقل نفساني. ولا يمكن لأفق معنى الفهم أن يُحدّ لا بما كان يقصده المؤلف، ولا بأفق المرسل إليه الذي كتب النصّ أساسا من أجله"¹²، بل هو اندماج أفقين وانصهارهما لخلق المعنى المشترك (المغزى الجوهر الثابت) وتجاوز التاريخي العابر.

ومن هذا المنطلق طرح غادامر مفهوم "الأفق التاريخي" بوصفه إجراء يتم بواسطته تفسير التاريخ والمعنى، حيث يحدث نوع من التفاعل أو الانصهار أو الاندماج بين الأفق الحاضر للذات المفسرة والأفق الماضي للحدث التاريخي أو للنصّ"¹³

الحوارية المشاركة يشير إلى مبدأ (التفاعل) أو (الحوار) بين النص (الماضي) والوعي القارئ (الحاضر) ما ينتج عنه انصهار/ اندماج الآفاق: أي المعنى المشترك بين القارئ والنص (المغزى). في هذا السياق يؤكد التاويليون أننا: "لا ندخل التاريخ، وأنما نجعله يدخل في ذاتنا وفي عصرنا، ومن ثمّ نعيد تأسيسه عبر علاقة سؤالنا الذاتي"¹⁴

*الفهم تطبيق دمج الماضي في الحاضر هو تطبيق "إنّ فهم نصّ ما هو...تطبيقه على أنفسنا، ومعرفة أنّ نصّا كهذا، حتى لو وجب دائما فهمه بشكل مغاير، يبقى مع ذلك هو النصّ نفسه الذي يظهر لنا، في كل مرة، بطريقة مختلفة"¹⁵

*نصية التاريخ وتاريخية النص: من منظور غادامر علينا النظر إلى فهم التاريخ كما ننظر إلى فهم معنى النصوص الأدبية. إنّ التاريخ هو الآخر ليس معطى موضوعيًا في الماضي، محدّدًا وقائما بذاته بكيفية مستقلة عن الذات المدركة،...بل إنه معطى متغيّر؛ إنّنا في كل عصر نفهم الماضي فهما جديدًا انطلاقًا من الأفق الراهن لحاضرنا. وفهمنا للماضي

¹¹ تيري ايغلتن، نظرية الأدب، ص 126.

¹² هانس جورج غادامر، اللغة كوسيط للتجربة التأويلية، ص 29.

¹³ عبد الكريم الشرفي، ص 46.

¹⁴ ناظم عودة خضر، الأصول المعرفية لنظرية التلقي، ص 101.

¹⁵ غادامر، اللغة كوسيط للتجربة التأويلية، ص 30.

وللحاضر أيضا هو نتاج التفاعل والحوار بين اللحظتين الزمنيتين، وبالتالي فإنّ فهمنا للماضي وفهمنا للحاضر يتعدّلان باستمرار.

*ترهين راهنية المعنى/ المغزى: كل ما سبق شرحه يفضي إلى منح الماضي/التراث/النص راهنية في الحاضر.

2- الإجراء التأويلي:

*يقوم الفعل/ الإجراء التأويلي على مبدأ العودة إلى النص/ الماضي في ضوء الحاضر (الوعي التاريخي)، يعمل في خطوة أولى على تفسير النص أي مقارنة المعنى التاريخي والكشف عن تاريخيته من خلال الإجراء الألسني الأدبي التاريخي الذي يحل النص بوصفه موضوعا (وسيط موضوعي) أو (بنية نصية موضوعية).

*ينتقل إلى تطبيقه على ذاته من خلال مساءلته في ضوء الراهن (لحظة تموضعه التاريخية) ليعيد القارئ فهم النص (الماضي) في ضوء إشكاليات الحاضر (الواقع الوجودي اليومي) والتي تتمثل في تلك الأسئلة التي يطرحها القارئ على النص في اللحظة الراهنة أي (الآن) في المكان/ الزمان.

* نموذج تطبيقي: طبق (محمد أركون)¹⁶ الإجرائية التأويلية في فهم آية السيف (ينظر الآية الخامسة سورة التوبة) والتي تتضمن أوامر إلهية بقتل المشركين. قراءته للنص القرآني تعمل على كشف تاريخية النص/ الحدث عن طريق استعادة روابطه بالتاريخ وتداخله مع سياقاته التاريخية (الظرفية التي اقتضت الأمر الإلهي بالقتل) باستخلاص ما يسميه أركون المعنى الجوهري للدين/الإسلام (حقيقة الإسلام) وترهينه. إنّ هذا المعنى يتمثل في (النزعة الانسانية تحديدا وتعني التأسيس للقيمة الأخلاقية على مبدأ حفظ كرامة النفس). إن آية السيف نص يؤسس في حقيقته لما نسميه اليوم نزعة انسانية، وهي المغزى الذي يستحضره أركون لجيب عن معضلات الإنسان المسلم -اليوم- في ظل النزاع الفكري والتطرف الديني وما اقترن بصورة الاسلام في الغرب من تشويه جذري.

ثالثا - أعلامه:

هـ ج غادامر (ألمانيا) بول ريكور (فرنسا) امبرتو أيكو (إيطاليا)
التلقي العربي: نصر حامد أبو زيد (مصر)، محمد أركون (الجزائر)...

¹⁶ ينظر كتابه: القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني

*جماليتة التلقي:

مثلت نظرية التأويل مرجعية أفاد منها نقد جماليات التلقي / الاستقبال والتي تأسست كمدرسة نقدية في ألمانيا مع (ياوس، إيزر)، في حين استخدم مصطلح نقد استجابة القارئ في الضفة الانجلو سكسونية (الناقد الأمريكي ستانلي فيش).